إنّ إصرار مَن وقفوا ضدك على مقاضاتك إنما هو في الواقع إصرارٌ على الوقوف ضدّ كلّ حَمَلَةِ الفكر والرأي النزيه والكلمةِ الحرّةِ والشريفة. إنه إصرارٌ على محاكمةِ كلِّ مَن لم ينكّسْ رايةَ الثقة بالشعب العراقيّ ونضالِه العادلِ ضدّ الاحتلال وخدمه.

إنّ إصرارَ مَنْ هم ضدك على إجراء المحاكمة يَعْكس ضعفَهم وضغينتَهم وحالةَ ضياعهم. فهم لم يحترموا القضاءَ يومًا، وإنما يلجأون إليه للنكاية بالقضاء نفسه وبالخصم الحرّ معًا، وكمحاولةٍ رعناءَ لإطفاء الغليل البدائيّ والمتخلّف والأرعن.

هم في إصرارهم على محاكمة سماح إدريس حَكَموا على أنفسهم. يكفيك فخرًا أنّ أحرارَ العراق وبلاد العرب معك، كما أنتَ معهم. ولا تقلقْ من شهود الزور الذين حاولنا ثنيَهم عن هذا الدور المعيب، ولكنْ دون جدوى، إذ توهّمنا بأنه ما زال في القَدْرِ بعضُ ماء، ولو قطرةٌ واحدة.

مرةً أخرى لك كلّ التضامن والتقدير، من أحد أبناء العراق الكادحين.

أكبر الشيوعيين العراقيين سنّاً،

وأقدمهم بين الأحياء في عضو الحزب الشيوعيّ العراقيّ،

رسالة شخصيّة في ٢٠١٠/٣/٨

❖ ❖ ❖

هنيئًا لكم بحُكم المحكمة وهنيئًا لـ الآداب بحُكم التاريخ

غسّان بن خليفة

كما كنتُ أتوقّع، أدان القضاءُ اللبنانيّ مجلّةَ الآداب ورئيسَ تحريرها د. سماح إدريس ومديرةَ المجلّة السيّدة عايدة مطرجي. لكنّ ما لم أتوقّعه هو ضخامةُ الغرامة المحكوم بها (٤٠٠٠ آلاف دولار أميركيّ لكِلا «المُتهَمَيْن»!) في قضيّةٍ تتعلّق بمقال رأي، وردتْ فيه إشاراتٌ عرَضيّةٌ، من دون اتّهامٍ مباشرٍ لصاحب الدعوى الناشر فخري كريم.

من المهمّ، بدايةً، التأكيدُ على إصرار صاحب الدعوى على عدم إسقاطها، رغم اعتراض المئات من المثقّفين والإعلاميين والقرّاء العرب، الذين وقّعوا «ميثاقَ شرف بين أنصار الكلمة الحرّة،» ورغم ما هو معروف للجميع من الظروف الماديّة الصعبة التي تعيشها المجلّة: فـ الآداب هي غيرُ المجلاّت والمنابر ودُور النشر العربيّة المُسبَغ عليها من نِعَم أموال نفط «محور الاعتدال» و«الليبيراليّة الوهابيّة» (والمصطلح البليغ هو لأسعد أبو خليل)، فضلاً عن الأموال «المجهولة المصدر»؛ إذ هي تعيش فقط من وفاء قرّائها، ومن قوتِ أصحابها القابضين على جمر الثقافة الحداثيّة (بمعناها التحرّري الرافض للاستعمار والهيمنة، لا حداثيّة «المُتلبرلين الجُدُد» العوراء).

من غير المجدي الخوضُ في حيثيّات القضيّة وقرار المحكمة، ولا الاعتراضُ على وجود «محكمة مطبوعات» في بلدٍ تُفاخر طبقتُه السياسيّة الطائفيّة بديمقراطيّته الفريدة عربيّاً. فساحةُ المعركة الحقيقيّة بين سماح إدريس وفخري كريم تجري في فضاءٍ آخر: فضاءِ «الثقافة العربيّة التقدّميّة.» فكلاهما يشار إليه عمومًا على أنّه مثقّفٌ تقدّميّ، أو ما يرادف ذلك بشكل أو آخر (مثل: حداثيّ، عقلانيّ،...). وهنا كان النصرُ، منذ البداية، لسماح إدريس ولمجلته العريقة ولما يمثّلانه من تيّار ثقافيّ نقديّ ثائر على السائد العربيّ البائس. إذ رغم استضافة أكثر من قناةٍ فضائيّةٍ «نفطيّة» للسيّد فخري كريم، واستبعادِها لسماح إدريس، الطرفِ الآخرِ في القضيّة ـ وفي ذلك دليلٌ إضافيّ على «لبيراليّتها» ـ، فإنّ هذا الأخير لم يَرفضْ إعطاءَ «حقّ الردّ» لكريم؛ بل فتح صفحاتِ مجلّته وموقعَها الإلكترونيّ، ناشرًا مقالاتِ مَن دافعوا عن صاحب الدعوى، رغم ما تضمنّه أغلبُها من بذاءاتٍ وتهمٍ سخيفة. وفي ذلك أبلغُ درسٍ عن مدى ديمقراطيّة الطرفيْن وحداثيّتيْهما وليبراليّتهما.

لكن الأهمّ من ذلك أنّه، رغم اختلال موازين قِوى المال والمنابر والعلاقات بين رافع الدعوى و«رافضها،» ورغم الشهرة الإعلاميّة لبعض الأقلام التي دافعتْ عن الأوّل، فإنّ قضيّة الدعوى فَجّرتْ موجةً ـ قد تكون غيرَ مسبوقة ـ من التضامن مع مجلّة الآداب ورئيسِ تحريرها: موجةً امتدّت من المحيط إلى الخليج، فإلى المهْجر، وتعدّدتْ ساحاتُها من الصحافة المكتوبة إلى فضاء الإنترنت. فرأينا المئات، بل الآلافَ، من المواطنين والمواطنات العرب، ممّن لا يعرفهم إدريس، ولا يربطهم به غيرُ الموقف الشريف، كهولاً وشبابًا، يُمْضون على عرائض المساندة. وفي مبادرةٍ تلقائيّةٍ معبِّرة، قام بعضُ الشباب اليساريّ العربيّ من تونس ـ وهم على فكرةٍ لم يصفّقوا يومًا لديكتاتوريّة صدّام حسين ولا استفادوا من «كوبونات النفط» ـ بنشر صورٍ لهم، على موقع «فيس بوك،» واضعين أمام صدورهم مجلّةَ الآداب، وكأنّها نيشانُ شرف. وهي فعلاً كذلك!

لا أعتقد أنّ سماحًا كان يطمح إلى أكثر من ذلك. فهو بثباته على موقفه، معزّزًا بالموقف الرائع لوالدته السيّدة عايدة مطرجي (أنظرْ ردّها المفحِمَ على «بيان فخري كريم،» حين رَفضتْ «تكرّمَه عليها» بإخراجها من الدعوى)، وبدعم شرفاء الثقافة العربيّة، قد قدّم أروعَ مثالٍ على المثقّف العضويّ المهموم بقضايا أمّته. إنّ هذا النموذج الأخلاقيّ المبدئيّ الشجاع هو ما تبحث عنه الأجيالُ العربيّةُ الجديدة، الكافرةُ بـ «مثقّفي السلطان» وبانتهازيّة الثوريين السابقين الذين لحسوا مبادئهم السالفةَ واستبدلوها بمبدإ «الدُنيا مع الواقف (بمعنى القويّ).» وهنا تحديدًا يتجلّى انتصارُ مجلّة الآداب، قلعةِ الثقافة التقدّمية العروبيّة. ففي الوقت الذي كان يَطْمح فيه أعداءُ الآداب إلى «اجتثاثها كثقافة،» كما قال رشاد أبو شاور، ها هي تنجح، بفضل صمود أصحابها (لا أموالهم)، وبفضل إصرارهم على الكلمة النقديّة الحرّة، في استنهاض همَمٍ تعبتْ، وفي استقطاب شبابٍ جديدٍ يبحث عن مثقّفين لم يضيّعوا البوصلةَ ولا تخلّوْا عن مبادئهم: أقصد المثقّفين والمثقّفات الذين مازالوا يدافعون بشجاعةٍ عن أحلامهم/أحلامِنا المشروعة، في نهضةٍ عربيّةٍ حداثيّةٍ متحرّرةٍ من قيود الاستبداد والاستغلال ومن ربقة الاستعمار والتبعيّة.

ختامًا، أغتنم الفرصة لأدعو، من على صفحات هذا المنبر، الذي يعتزّ به كلُّ التقدّميين العرب، إلى أن يكون الردُّ على إدانة مجلة الآداب بـ «القدح والذمّ» على قدر ما اقترفَتْه هذه الأخيرةُ من «ذَنْب.» ولذلك أدعو إلى المزيد من التحدّي، وإلى الانخراط الجماعيّ في فضح رموز ثقافة الخنوع وتبرير الهزيمة والتخلّي عن الكرامة. فليكن ردُّنا على مَن يريد إخمادَ صوتِ الآداب الملَعلِع بأن نعتبرها ملْكًا لنا جميعًا، وبإطلاق حملة اشتراكاتٍ سنويّةٍ في هذه المجلّة الصامدة المناضلة.

لن تَسْقط الآداب، بل ستبقى كما أرادها مؤسّسُها الراحل سهيل إدريس، وكما حافظ عليها ابنُه سماح. ستبقى كما عبّرتْ عن ذلك مديرتُها المسؤولة، السيّدة عايدة مطرجي، «صوتًا للثورةِ العربيّةِ ضدّ الاستعمار والاستبداد.»

صحافيّ وناشط يساريّ من تونس مقيم في مونتريال،

جريدة القدس العربيّ، ٢٠١٠/٣/٨

❖ ❖ ❖

ليست مجلةً تَنْطق باسم مموّلين من خلف البحار!

هشام البستاني

كلّ التضامن مع مجلة الآداب التي كانت دائمًا منبرًا للثقافة التقدميّة والتنويريّة، ومنبرًا مدافعًا عن العدالة في وجه الاحتلال والاستيطان والعنصريّة. وبينما تروِّج أكثرُ المنابر «الثقافيّة» للأكاذيب الليبراليّة والديمقراطيّة الأمريكيّة والإسرائيليّة، وتقبض لقاءَ ذلك أموالاً طائلةً من مصادرَ مختلفةٍ مرتبطةٍ بهما، اختارت الآداب أن تظلّ صوتًا مستقلاً بحقّ، لا يجامل، ومنبرًا ثقافيّاً عضويّاً يجوع ولا يتنازل للأجندات المعادية.

وكلّ التضامن مع الشجاع سماح إدريس، رئيس تحرير الآداب، الذي لم يفعلْ شيئًا سوى أن أشار بعين المثقف الحقيقيّ إلى مواضع الخلل التي يعرفها الجميعُ، وإلى الحقائق التي يعرفها الجميع. لكنْ يبدو أنّ ذلك اليومَ البائسَ، الذي اعتقدنا بتفاؤلنا الساذج أننا لن نراه ولو انهار كلُّ شيء، قد أتى رغمًا عنّا: إنه اليوم الذي أصبحتْ فيه الخيانةُ موقفًا مقبولاً، بينما يستدعي واجبُ الإشارة إليها (وهو أقلُّ القليل) أحكامًا قضائيّةً بالغرامة وتكميمِ الأفواه.

من الأردنّ، أضمّ صوتي إلى صوت سماح، وأعلن أنني أقول ما قاله سماح. وإنْ كانت هناك من مساءلةٍ قانونيّةٍ لرفض الاحتلال الأمريكيّ للعراق، ولرفض العمليّة السياسيّة العميلة للاحتلال فيه، ولإدانة جميع المتواطئين والمتعاونين والمشاركين في هذه المهزلة التي تسمّى ـ من أجل الخداع ـ «حريّةَ العراق،» فأنا أطلب مساءلتي القانونيّة أيضًا.

سماح إدريس ليس وحدَه، والآداب ليست مجلةً تنطق باسم مموّلين من خلف البحار. لهذا لن نخجلَ من الوقوف معهما من دون تردّد.

طبيب أسنان وكاتب وقاصّ من الأردن،

رسالة شخصيّة في ٢٠١٠/٣/١٠

❖ ❖ ❖